

الفصل الثالث

فقه اللغات العربية

في بعض الأحيان تكون المصطلحات المستعملة سبباً في إشكالية الفهم والتحديد، وكيف بنا ونحن نتأرجح بين ثلاثة مصطلحات «اللغات السامية، أو الجزرية أو العروبية» ولعلّ القارئ لا يدرك أيها أقرب إلى الواقع اللغوي؟ لو أخذنا بالمصطلح الأول سيكون لزاماً علينا إبعاد اللغة الحبشية عن أرومة تلك اللغات فضلاً عن اللهجة البونية الفينيقية. أمّا إذا قلنا بالمصطلح الثاني «الجزرية» نسبة إلى جزيرة العرب، فهذا أيضاً تحديداً غير دقيق للغات الجزرية وهذه التسمية لا تنطبق على بعض اللغات التي خرجت عن هذا التحديد لاسيما اللغات التي وجدت في شمال أفريقيا ومنطقة سيناء والحبشة. إلاّ إنّ بعض الباحثين يرى أنّ مصطلح اللغات العروبية أو الجزرية بديلاً صحيحاً لما يُعرف باللغات السامية، ونحن نرى أنّ مصطلح اللغات العروبية وحده هو البديل لتلك المصطلحات، كون اللغات العروبية قد ترشحت عن اللغة الأم وأخذت منها خصائص لغوية أصبحت فيما بعد خصائص لغوية مشتركة، واللغة العربية جمعت جميع تلك الخصائص اللغوية فضلاً عن كونها اللغة الوحيدة التي ما زال يتكلم بها أبناؤها، كأنها هي اللغة الأم، لذلك اصطُح على هذه اللغات هذا المصطلح كونها تنتمي إلى لغة أو أصل لغوي واحد يضارع اللغة العربية.

فالأستاذُ عباسُ محمودُ العقادُ يبحثُ في كتابه^(١) مسائلَ تتعلقُ بالعروبةِ، يرى أنَّ الصحيحَ هو تسميةُ الشعوبِ السَّاميةِ بالعربيَّةِ وتسميةُ لغاتها بالعربيَّةِ القديمةِ. أمَّا الأستاذُ طه باقرُ «في دراسته للدخيلِ في لغةِ العربِ» فيرى مُصطَلحَ أقوامِ الجزيرةِ أو الأقوامِ العربيَّةِ القديمةِ صحيحاً من النَّاحيةِ التاريخيَّةِ والقوميَّةِ والجغرافيَّةِ، وذهبَ الدكتورُ نجيبُ البهيتيُّ هذا المذهبَ، في كتابه «المعلقةُ العربيَّةُ الأولى»^(٢) ملحمةُ كلِّكاش، إذ يذكرُ أنَّ الشعوبَ التي هاجرتُ من الجزيرةِ صدرتُ عن اليمنِ، لأنَّ اليمنَ أصلُ المعدنِ، إذ يصفُهم بالعربِ البائدةِ العاربةِ، أمَّا ما دخلَ عليهم بعدَ ذلكَ من إسماعيلَ وأبنائه فهمُ من العربِ المستعربةِ، فإسماعيلُ «الآكاديُّ» الذي نشأ في الحجازِ بين قبيلةِ جُرهمِ العربيَّةِ القديمةِ، تعلَّمِ العربيَّةَ القديمةَ ممزجةً بآثارِ من الآكاديَّةِ والمصريَّةِ التي كانتَ لغةَ أمِّه، فكانَ من جماعِ ذلكَ كلُّه نشأةُ اللهجةِ العربيَّةِ العدنانيةِ التي صارتُ بين يديِّ أبنائه لينةً فحملتُ عواطفهم وعقولهم. ويذهبُ البهيتيُّ إلى أنَّ السُّومريينَ هم الموجاتُ اليمنيةُ الأولى التي انثالتُ على العراقِ بعدَ الطوفانِ، واستناداً إلى تلكَ المُعطياتِ يرى أنَّ ملحمةَ كلِّكاشِ عربيَّةٌ ملءُ الفمِ والشدقِ^(٣).

ويرى الأستاذُ محمدُ خليفةُ التونسيُّ في كتابه^(٤) أنَّ مُصطَلحَ «العروبيَّةِ» أقربُ إلى الواقعِ اللغويِّ كونَ تلكَ اللغاتِ شقيقاتٍ للغةِ العربيَّةِ، وإلى ذلكَ ذهبَ الدكتورُ علي فهمي خشيم ويراها «أعني مُصطَلحَ العروبيَّةِ» بديلاً صالحاً لمُصطَلحِ اللغاتِ السَّاميةِ.

والحقُّ أنَّ مُصطَلحَ العروبيَّةِ مُصطَلحٌ موافقٌ في صحَّةِ دلالتِهِ اللغويَّةِ والتَّاريخيَّةِ، فالعروبةُ هي التي تربطُ بينَ جميعِ الشعوبِ المهاجرةِ من الجزيرةِ لأنَّها جزيرةُ العربِ،

١. أبو الأنبياء: ١٤٨-١٦٤.

٢. المعلقة العربية الأولى: ١-٥٨-٦٢.

٣. يُنظرُ: رأي الدكتور نجيب البهيتي في المعلقة العربية الأولى: ١-٦٠، ٥٨.

٤. أسرة اللغة العروبية السامية: ١٦٩.

ولأنَّ العروبةَ صفةٌ لتلك الخصائص اللغوية المشتركة بين لغات المهاجرين من أقوام الجزيرة والمقيمين فيها على حدٍّ سواءٍ، وليس أدلَّ من ذلك من أنَّ لغة القرآن العربية الفصحى هي أقرب اللغات إلى الأصل الذي دُعي باللغة السَّاميةِ الأمِّ، والسَّاميةُ مجردُ تسمية افتراضية. ولكي يستقرَّ مُصطَلحُ العروبية في ذهن الباحثين ويستقرَّ في الدراسات اللغوية الأكاديمية لا بدَّ من الشروع والانتشار، وهذا ما نسعى إليه.

حقيقة وطبيعة هذه اللغات

يرى الدكتور سامي سعيد الأحمد أنَّ مُصطَلحَ السَّاميةِ الذي أصبح شائعاً في حقل الدراسات اللغوية الحديثة يطلق على مجموعة من اللغات المتقاربة نسبةً إلى سام أحد أولاد نوح (عليه السلام)، إذ أُطلق هذا الاسم على العرب والكنعانيين والآراميين والفينيقيين والعبريين والبابليين والآشوريين، وهذه التسمية «لا تستند على أساس رصين من الواقع التاريخي ولا تدعمها المصادر المعتمدة والأدلة المستندة على التمحيص الموضوعي والدقة العلمية»^(١)

و أول من أطلق تلك التسمية الباحث: شلوتسر على تلك الشعوب مستنداً إلى العهد القديم، عندما كان يبحث عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش الذين ظهر في لغاتهم تشابهٌ وصلاتٌ قرابة، وقد استند في هذه التسمية إلى نصِّ توراتي يتحدث عن أنسابِ نوح بعد الطوفان^(٢). «وكان بنو نوح الذين خرجوا من السفينة ساماً وحاماً ويافتاً، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومنهم

١. المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٣.

٢. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٣٢.

انتشر كل سكان الأرض»^(١).

فالساميون هم أبناء سام بحسب ما ورد في النص التوراتي الذي أتى على ذكر شعوبهم وفق ما أراده اليهود، إذ أبعاد اليهود الشعب الكنعاني عن دائرة الشعوب السامية - إن صحّت هذه التسمية - وأدخلوا بالمقابل شعبين آخرين هما عيلام ولود في جدول بني سام على الرغم من أنه ليست هنالك صلة قرابة بين هذين الشعبين من جهة، كما أنه ليست بينهما وبين الشعوب السامية أية قرابة من جهة أخرى^(٢)، وهذا ما قال به كثير من باحثينا العرب، إلا أننا راجعنا تاريخ الشعوب في سفر التكوين الفصل العاشر الصفحة التاسعة فوجدنا الآتي: «٢١ وولد لسام أيضاً بنون، وهو أبو جميع بني عابر، وأخو يافث الأكبر ٢٢، وبنو سام: عيلام وآشور، وأرفكثاد، ولود، وآرام»^(٣).

مهما يكن من شيء حول طبيعة هذا التقسيم للشعوب التي صدرت عن أنساب نوح (عليه السلام)، فإنها من أصل لغوي واحد، وهذا ما يعيننا في هذا المقام، ودليل ذلك هو إفادة الأوربيين من البحث في اللغة العربية في القرن السادس عشر، بهدف قراءة العهد القديم في نصه العبري، لذلك استعين باللغة العربية لفهم بعض الجوانب الغامضة في النص العبري للعهد القديم^(٤)، وهذا ما يجعل الباحث يذهب إلى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات العروبية إلى اللغة الأم إن لم تكن هي عينها تلك اللغة التي خلقت قبل خلق الإنسان وهي لغة أهل الجنة.

أما طبيعة تنظيم تلك اللغات وجمعها فلم تكن في بادئ الأمر تتركن إلى تنظيم منهجي واضح، لكن القائمين على هذه اللغات قد توسّلوا أخيراً بالمنهج العلمي

١. سفر التكوين: الفصل التاسع: ٧.

٢. فقه اللغات السامية: ١١.

٣. سفر التكوين: الفصل العاشر.

٤. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٣٢.

الذي أُعْتَمِدَ في تصنيفِ اللغاتِ الهندوأوربية، وكانَ لهذا المنهجِ أثرُه في أبحاثهم التاريخية والأثرية، وحصيلةُ هذا الجهدِ العلميِّ الكشفُ عن الآلافِ من النقوشِ تنوعتْ بين أكادية وفينيقية وعربية بائدة، ومن نتائجِ هذه الأبحاثِ أنَّها أثبتتْ أنَّ هذه اللغاتِ تتشابهُ في ما بينها من حيثِ المادةِ اللغوية، فضلاً عن أنَّ اللغاتِ الحديثةَ منها التي ترشحتْ عن ذلكِ الأصلِ القديمِ ما زالتْ تحتفظُ بجملةٍ من الخصائصِ اللغويةِ المشتركة.

موطنُ العربيين «الجزيرين» - الساميين

وقع الدارسون في اختلافٍ كبيرٍ حولَ تحديدِ الأصلِ الذي بدأتِ الموجاتُ السَّامِيَّةُ تخرجُ منه تبعاً، قيلَ إنَّ موطنهم منطقةُ أرمينيةَ وهذا له صلةٌ بقصةِ الطوفانِ، وقيلَ شمالُ أفريقيا وخرجوا إلى آسيا عن طريقِ السويسِ، وقيلَ بلادُ الحبشةِ ومنها انتشروا عن طريقِ بابِ المندبِ، وقيلَ العراقُ وهذا مذهبُ جويدي، وقيلَ بلادُ الشامِ حيثُ موطنُ الكنعانيين، وقيلَ بلادُ الحجازِ ونجدِ واليمنِ وهو مذهبُ رينان و بروكلمان وغيرهما^(١) لأنَّ ثمةَ أسباباً تؤيدُ هذا المذهبَ منها:

إنَّ هذا الموطنَ هو المكانُ الَّذي بدأتْ منه الهجراتُ السَّامِيَّةُ الأولى كالبابليين والأشوريين وإنَّ أولَ من هاجر إلى الحبشةِ من اليمنِ فضلاً عن اشتراكِ الشعوبِ السَّامِيَّةِ بصفاتٍ لغويةٍ واحدةٍ ترجعُ جميعاً إلى المحسوساتِ الماديةِ التي لا تنشأُ إلاَّ في مواطنَ صحراويةٍ قليلةٍ الظواهرِ الطبيعيةِ فقيرةِ المناخِ وهذا ما يتمثلُ بالجزيرةِ العربيةِ كونها الموطنَ الأصليَّ لتلكِ الشعوبِ^(٢).

١. يُنظَرُ: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/٢٢٩-٢٤٤.

٢. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة اللغات السامية: ٤ وما بعدها.

لقد ثبت تاريخياً أنّ هذه المواطن كانت كثيفة السكان والخيرات خصبة الأرض لكنها أصيبت بتغيرات مناخية وجيولوجية أدت إلى تركيها والنزوح عنها إلى منطقة بلاد الرافدين أو ما يُعرف بالجزيرة الفراتية، إذ وُجد كثيرٌ من المستوطنات التي تعود إلى العصر الأكدّي، وهذا ما يتّسق وتاريخ نزوح أول جماعة عروبية من مكانها الذي كانت فيه^(١).

وتتكون هذه البيئة الجغرافية من بيئات صغيرة ذات موارد مياهِ محدودة يسهل التحكم فيها، وقيل لصغر تلك المستوطنات من حيث المساحة جعلها عرضةً لأن تضيق بسكانها بعد مدةٍ من الزمن ما يستوجب خروج جماعاتٍ منها على شكل هجراتٍ بشريةٍ قصدت مناطق السهول من أرض العراق وسوريا وفلسطين^(٢).

والملاحظ أنّ هذه الشعوب تمتلك قدرًا من الحضارة والرقّي وهذا الأمر قد تمثل بما عُثر عليه من نقوشٍ ومسكوكاتٍ وحليٍّ، فضلاً عن كون عائلتها اللغوية تنتمي إلى أصل لغوي^(٣)، إذ تشترك اللغات «العروبية» السامية بخصائص وصفات تدل على وحدة المنشأ والتناسل ولكن أي واحدةٍ منهن لا تدل على أنّها الأصل لجميع اللغات السامية.

وحاول الباحثون المستشرقون الوصول إلى معرفة أقدم لغةٍ ساميةٍ فكانت ثمة

١. يُنظر: المصدر نفسه: ٧.

٢. المصدر نفسه: ٩.

٣. روي عن النبي ص أنّه قال: «خمسة أنبياء من العرب وهم: محمد وإسماعيل وشعيب وصالح وهود»، في رواية عن العرب القدماء: أنّهم عرفوا بالعرب لأنّ لسانهم عربي، هذه الرواية تدل على أنّ اللسان العربي قديم، وهؤلاء الأنبياء عرب وكانوا يسكنون بلاد العرب. ونلاحظ أنّ سلسلة الرجال بين سام و هود: قيل إنّ هود (عليه السلام). هو ابن شالح بن أرفخشذ بن سام. وعن ابن عباس: أنّ هوداً أول من نطق بالعربية، مساكن قوم هود، كانت مساكن عاد أرض الأحقاف أي في شمال الربع الخالي، وهذا ما يتسق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين في تحديد البيئة الجغرافية التي انطلقت منها الجماعات السامية فضلاً عن التماثل اللغوي الذي يرجع إلى أصل لغوي هو أقرب إلى اللسان العربي.

خلافاتٍ يرجع بعضها إلى عواملٍ عصبيةٍ و أخرى إلى عواملٍ علميةٍ صرفةٍ، فاليهودُ يعدّون العبريةَ أقدمَ لغةٍ ساميةٍ، وهذا الأمرُ قد أشرنا إليه في سببِ تسمية تلك اللغاتِ باللغاتِ السّاميةِ، ويعتقدُ آخرونَ أنّ الأكديّةَ هي الأقدمُ وهذا مرتبطٌ بالتسلسل والتوزيع الجغرافي لهجرات تلك الشُّعوبِ، على حين تنقصُ الدّاهيينَ هذا المذهبَ دلائلٌ كثيرةٌ أهمُّها:

قلّةُ ما وردَ من نصوصٍ آشوريةٍ أو بابليّةٍ واختلاطُ الكثيرِ منها بكلماتٍ سومريةٍ يتعدّدُ معرفةَ قديمها، كونَ بعضهم يرى أنّ اللغةَ السومريةَ هي اللغةُ الأقدمُ والأبعدُ زمناً عن الأكديّةِ، كونَ الأخيرةِ قد حوتْ جملةً من الكلماتِ السومريةِ في معجمها اللغويّ.

وقد حاولَ آخرونَ أن يجمعوا الأمورَ المُشتركةَ بينَ اللغاتِ السّاميةِ في البنيةِ والتنظيمِ والأصواتِ ليتخذوا منها صورةً للغةٍ السّاميةِ الأولى، غيرَ أنّهم قد فاتهم أنّ هذه اللغاتِ جميعاً قد مرتْ بمراحلٍ من التطوّرِ فتركتْ أشياءً واستحدثتْ أشياءً وتفاعلتْ مع غيرها من اللغاتِ المجاورةِ فأخذتْ وأعطتْ جرّياً مع القوانينِ الطّبيعيةِ للغةِ الإنسانيّةِ.

التوزيع الجغرافي اللغات العروبية «السامية»

أولاً: اللغات الشرقية

ومن لغاتها: الأكديّة

تُنسبُ إلى مدينة أكاد التي بناها سرجون الأكدي في الجزء الشمالي من أرض بابل وهي أولى الدول التي أنشأها الساميون في أرض الرافدين، ولا بد لنا أن نعتقد بأن وجودهم في جنوب العراق كان سابقاً لوجود السومريين^(١)، إلا أن الأستاذ محمود فهمي حجازي ينقل لنا أن الأكديين قد اختاروا هذه التسمية لهم وأطلقوها على لغتهم تمييزاً لها عن اللغة السائدة في جنوب أرض الرافدين وهي اللغة السومرية^(٢). وهذا يعني أن اللغة السومرية أقدم وجوداً من الأكديّة.

ومن خلال ما قام به العالم الإنكليزي «رولنسون» في منتصف القرن التاسع عشر من الكشف عن كثير من النقوش وحل رموزها بدت لنا خصائص هذه اللغة^(٣)، إذ اعتمد الأكديون الكتابة المسماة واستعملوها نطقياً باستعمال علامة واحدة وهذا ما يعني أن ثمة ازدواجاً لغوياً بين الشعب الأكدي والسومري استمر أكثر من ستة قرون (٢٥٠٠-١٩٠٠ ق.م) أدى في النهاية إلى سيادة اللغة الأكديّة في تلك البيئة الجغرافية^(٤).

١. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٣.

٢. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٥١.

٣. يُنظر: فصول في فقه اللغة العربية: ٢٧.

٤. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٥٣.

خصائص اللغة الأكادية:

اعتمادها الكتابة المسماة التي تقوم أساساً على المقطع الصوتي، أي أن الكلمة تقسم على مقاطعها التي كونتها، ولكل مقطع رمزٌ كتابي يُعرفُ به، وهي بذلك تختلف عن الكتابة الهيروغليفيه التي ظهرت في الوقت نفسه في مصر لأن الأخيرة لا تدون الصوت المنطوق بل الكتابة فيها كتابةً صوتيةً.

وجود حرفي الحلق «الهزمة، والحاء» وسقوط أو اختفاء «العين، والغين، والحاء، والهاء».

بعل	be:l	العين	يُنطقُ بمدَّ الحركةِ
قمح	qe:m	الحاء	يُنطقُ بمدَّ الحركةِ
نهر	na:r	الهاء	يُنطقُ بمدَّ الحركةِ

ويمكن أن نلمس هذا الأمر في الكلمة السومرية التي كانت تُنطقُ خاليةً من صوت الحلق، وظلت على حالها في الأكادية «ekallum» هيكل «بمعنى البيت الكبير أو القصر أو المعبد» ثم انتقلت إلى اللغة العبرية والعربية بمعناها الأخير مع نُطق صوت الحلق^(١).

وجود شا الشرطية، والشرط لا يشابه بالوظيفة ما نراه في اللغات الجزرية بل هو نوع من النهايات الظرفية للفعل المحدد الزمن^(٢).

اختزال الحروف الصحيحة مما جعل حروفها قليلةً، مثلاً: اختزال «ث، ش، س» في «ش» واختزال «ز، ذ» في «ز» واختزال «ص، ض» في «ص»^(٣).

١. يُنظر: المصدر نفسه: ١٥٦.

٢. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٣. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

وجود كلمات مكونة من حرفين صامتين مثل: لقلقو «لقلق» و ثلاثة أحرف وهي الغالبة في هذه اللغة، أو من أربعة أحرف نحو: بورشؤو «برغوث» و خندشانو «عريس»^(١).

يُعرَّبُ الاسم في اللغة الأكدية، فقد ظهرَ ومن خلال النقوشِ على ثلاثة أشكال، إذ يطابق في أحد هذه الأشكال حالة الرفع في العربيَّة، وفي الثانية حالة النصب، وفي الثالثة حالة الخفض، واستعملت التميم مقابلاً للتنوين في العربيَّة.

<i>Kalbu</i>	في حالة الرفع	<i>kalbum</i>	في حالة الرفع والتنوين
<i>Kalba</i>	في حالة النصب	<i>kalbam</i>	في حالة النصب والتنوين
<i>Kalbi</i>	في حالة الجرِّ	<i>kalbim</i>	في حالة الجرِّ والتنوين ^(٢)

وجود ضمائر منفصلة ومتصلة في اللغة الأكدية:

فمن ضمائر الرفع المنفصلة: «أناكو: أنا» «أتنا: أنت» «أتني: أنت للمؤنث» «أتونو: أنتم» «شوو: هم» «شي: هي» «شونو: هم» «شينا: هن»^(٣).

ومن الضمائر المتصلة: النون في بداية الفعل للدلالة على المتكلم الجمع، والتاء في البداية للمفرد المخاطب، والياء في النهاية للمفرد المتكلم نحو: يلي «ربي»، وكا وكي للمتكلم المفرد المذكر والمؤنث «بيتكا) بيتك»^(٤).

يكون الجمع في اللغة الأكدية بتطويل حرف العلة بعد إسقاط التميم:

Kalbum *kalbuu*

وأحياناً يكون الجمع بإضافة «anu» في حالة الرفع و«ane» في حالة النصب

١. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٢. يُنظر: المصدر نفسه: ١٥٤، و المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٣. يُنظر: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ١٦.

٤. يُنظر: المصدر نفسه: ١٦.

والجرّ.

رب Eil eilanu
ملك^(١) Sharru sharranu

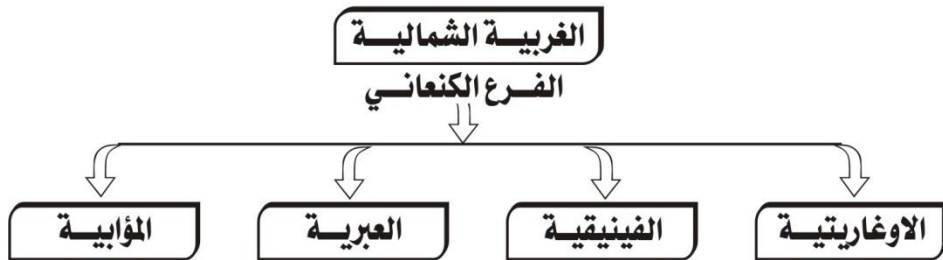
فضلاً عن وجودِ التثنية في اللغةِ الأكديّةِ القديمةِ.
Shiuerin aneam هذينِ الخاتمين^(٢).

وخلاصةُ القولِ في هذهِ اللغةِ أنّها من أهمِّ اللغاتِ العروبيّةِ لغَةً وحضارةً فضلاً
عن كونها أقدمَ لغةٍ مدونةٍ، وشابهتِ اللغةَ العربيّةَ في كثيرٍ من خصائصها اللغويّةِ.

وباتتْ هذهِ اللغةُ تحتضّرُ بنهايةِ الدولةِ الآشوريةِ في القرنِ السابعِ قبلَ الميلادِ أي
أنّها عاشتْ أكثرَ من خمسةٍ وعشرينَ قرناً، وفي هذهِ الحالِ أخذتِ اللغةُ الآراميةُ
بالانتشارِ كلغةٍ استعمالٍ، وهذا لا يعني أنّ اللغةَ الأكديّةَ لم تندمجْ أو تؤثّرْ باللغةِ
الآراميةِ بل على العكسِ من ذلكِ إذ بدأ ذلكِ الاندماجُ واضحاً من خلالِ حركةِ
التغيرِ البطيءِ الذي ظلَّ قائماً لقرونٍ عدّةٍ بينِ الأكديّةِ والآراميةِ.

ثانياً اللغاتُ الغربيّةُ

ومن لغاتها



١. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ١٦.

٢. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ١٦.

الكنعانية

تمثلت هذه اللغة بالكنعانيين السكان الأوائل لمنطقة الهلال الخصيب منطقة بلاد الشام وساحل البحر المتوسط (شمال أفريقيا) وهذا يعني أن مجموع هذه اللهجات غادرت بيئاتها اللغوية إلى بيئات أخرى بل خرج بعض منها عن هذا التحديد الجغرافي لاسيما اللغة الآرامية والفينيقية التي وصلت إلى بعض جزر البحر المتوسط^(١).

وباعتماد التوزيع الجغرافي اللغوي يمكن لنا أن نقسم اللغات أو اللهجات الكنعانية على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يُعرف بالكنعانية الشمالية ويتمثل باللغة الأوغاريتية، أما القسم الثاني فيعرف بالكنعانية المتوسطة ويتمثل هذا القسم باللغة الفينيقية، أما القسم الثالث فيعرف بالكنعانية الجنوبية ويتمثل بالعبرية والمؤابية.

القسم الأول

الأوغاريتية: عُرِفَتْ بهذه التسمية نسبةً إلى منطقة «أوغاريت» شمال مدينة اللاذقية السورية، وقد عُثِرَ على بقايا لهذه اللغة في منطقة «رأس شمرا» سنة ١٩٢٨م، وهي عبارة عن مجموعة نقوش مدونة على ألواح من الطين، كُتِبَتْ بخط مساري يسير على النظام الأبجدي خلافاً للغة الأكديّة التي اعتمدت النظام المقطعي في طريقة الكتابة^(٢)، علماً إن الأكديين استعملوا مئات الرموز، ولكن الأوغاريتيين كتبوا برموز قليلة لا

١. يُنظر: الأساس في فقه اللغة: ١١٦.

٢. يُنظر: مدخل إلى فقه اللغة العربية: ٥٩، والأساس في فقه اللغة: ١١٦.

يتجاوزُ عددُها الثلاثينَ، وهذا يعني أنَّ الأوغاريتين بسّطوا نظامَ الكتابةِ، فلم تُعدْ هناك حاجةٌ لتعلمِ مئاتِ الرموزِ^(١).

أهمُّ خصائصها:

١. كتاباتها بالخطِّ المسمايِّ الذي يسيرُ على النظامِ الأبجديِّ خلافاً للأكدية التي تسيرُ على النظامِ المقطعيِّ.
٢. تقومُ كتابتهم على الحروفِ الساكنةِ، وتركوا كتابةَ الحركاتِ مثلَ اللغةِ الفينيقيةِ.
٣. خلتْ كتاباتها من حرفِ الفاءِ التي استُعِيضَ عنها بالباءِ.
٤. تركوا علاماتِ الإعرابِ.
٥. وجودُ أصواتِ الإطباقِ كاملةً أمّا أصواتُ الحلقِ فقد سقطَ منها صوتُ: الحاءِ، المهمزةِ.
٦. تقتربُ من العربيةِ في:

- ميّزتُ بين صوتي الحاءِ والحاءِ.
- ميّزتُ بين العينِ والغينِ، لكنَّ العربيةَ جعلتُ منهما صوتاً واحداً وهو «العين».
- انتظمتُ عندهم حروفُ الهجاءِ على النحوِ الآتي:
أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت^(٢).

فالنقوشُ الأوغاريتيةُ من الناحيةِ الزمنيةِ تلي اللغةَ الأكديةَ، لذلكَ تحملُ سماتِ لغويةً قديمةً تختلفُ عن بعضِ اللغاتِ العروبيةِ، وتقتربُ من اللغةِ العربيةِ كونَ الأخيرةِ احتفظتُ بصفةٍ عامةٍ بالأصواتِ العروبيةِ.

١. يُنظرُ: علم اللغة العربية: ١٥٩.

٢. يُنظرُ: المدخلُ إلى دراسة اللغات الجزرية: ٢٣، وعلم اللغة العربية: ١٦٠.

الفينيقية: انتشرت في كثير من البلاد الواقعة على سواحل البحر المتوسط، كسوريا وفلسطين وبعض الجزر، وقيل إن موطنها «صورٌ وصيدا وجبيلٌ وقبرص»^(١) وقد عُثِرَ على نقوش كثيرة في قبرص وعلى ساحل البحر المتوسط، وكان يُطلَقُ على اللغة الفينيقية في المغرب العربي اسمُ اللغة البونية التي قُسمت على قسمين البونية القديمة التي انتشرت في الساحل التونسي حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وانتهت بسقوط الدولة على يد الرومان، الذين نازعوا الفينيقيين على سيادة البحر المتوسط، وبعد سقوط قرطاجنة، بدأ المرحلة الثانية في حياة اللغة البونية الحديثة التي تأثرت باللغة اللاتينية، إذ أدى هذا التأثير إلى ضعف النطق بأصوات الحلق فضلاً إلى عدم تمييزهم في الكتابة بين العينِ والهمزة و بين الحاءِ والهاءِ، والخلط بين الألفِ والهاءِ. وفي مرحلة متأخرة استعملت أصوات الحلق وسيلةً لكتابة الحركات القصيرة^(٢).

ومن خصائص اللغة الفينيقية عامةً:

١. شابهت العبرية في طبيعة الأصوات الساكنة التي تتكون منها الكلمات، وهي أطول عمراً من اللغة العبرية.
٢. لم يستعملوا حروف العلة لذلك لم يستعملوا علامات الإعراب.
٣. احتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي الذي أوجده الأوغاريطيون^(٣).

١. يُنظَرُ: الأساس في فقه اللغة: ١٢٠.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة: ١٦٣.

٣. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٢٢-٢٤، وعلم اللغة العربية: ١٦١-١٦٣. ومدخل إلى

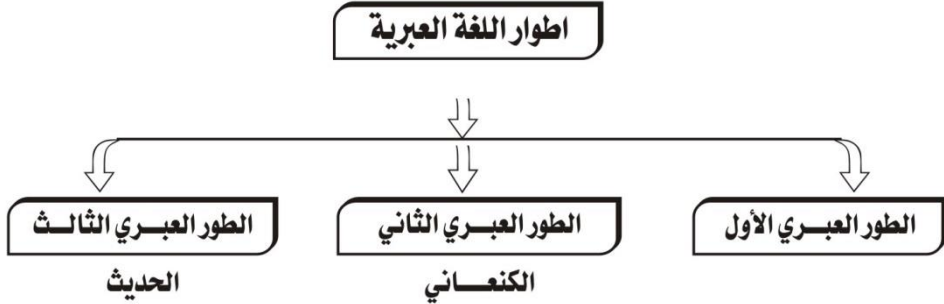
القسم الثالث

أولاً: العبرية

وهي من أهم اللغات العروبية، وأوسعها وأكثرها إنتاجاً في فنون القول والأدب والتاريخ، ويمكنُ تحديدُ بدايات هذه اللغة مع بدايات القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض فلسطين، ويكادُ العهدُ القديمُ يكونُ المصدرَ الوحيدَ للتعرفِ على تاريخ اللغة العبرية^(١). ومن أقدم المصادرِ عن اللغة العبرية نقشُ السلون الذي عُثر عليه في بيت المقدس^(٢).

ويقالُ إنَّ العبريةَ عُرِفَتْ بهذا الاسمِ نسبةً إلى «عبرا» أو «عابرا» الذي يعدُّه اليهودُ أباً لهم، ويرى ولفنسون أنَّ كلمة «عبري» مثل كلمة «بدوي» وترتبطُ بكلمة «عربي» ارتباطاً لغوياً، لأنَّهما مشتقتانِ من أصلٍ واحدٍ وتدلَّانِ على معنى واحدٍ^(٣).

ويمكنُ تقسيمُ اللغة العبرية على ثلاثة أطوار:



فقه اللغة العربية: ٦١.

١. يُنظَرُ: علم اللغة: ١٦٥.

٢. يُنظَرُ: مدخل إلى فقه اللغة: ٦٠.

٣. يُنظَرُ: تاريخ اللغات السامية: ٧٨.

الطورُ العبريُّ الأولُ:

كَانَتْ اللُّغَةُ العِبرِيَّةُ الَّتِي تَكَلَّمُ بِهَا العِبرَانِيُونَ الأَوَائِلُ الَّذِينَ سَكَنُوا مِصْرَ قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، وَكَانَ العِبرَانِيُونَ عَلَى صِلَةٍ بِالْكَنْعَانِيِّينَ الشَّرْقِيِّينَ لَا سِيَّمَا بَعْدَ ظُهُورِ الجَمَاعَاتِ العَمُورِيَّةِ فِي فِلَسْطِينَ، وَكَانَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ لَا تَحْتَوِي عَلَى نِهَائِيَّاتٍ إِعْرَابِيَّةٍ فِي الأَسْمَاءِ العِبرِيَّةِ.

الطورُ العبريُّ الثَّانِي «الْكَنْعَانِيُّ»

الَّذِي تَمَثَّلَ فِي لُغَةِ العَهْدِ القَدِيمِ، وَهُوَ الكِتَابُ المَقْدَسُ عِنْدَ اليَهُودِ، إِذْ دُوِّنَ العَهْدُ القَدِيمُ بِالخَطِّ العِبرِيِّ غَيْرِ المَضْبُوطِ بِالشَّكْلِ، أَي أَنَّهُ اعْتَمَدَ الصَّوَامَتَ فِي التَّدْوِينِ وَأَهْمَلَ الحَرَكَاتِ، وَفِي هَذِهِ الحَقْبَةِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْ عَمْرِ اللُّغَةِ العِبرِيَّةِ كَانَ العَهْدُ القَدِيمُ يُتَلَى بَعْدَ أَنْ يُحْفَظَ، فَلَمْ تَكُنْ هُنَالِكَ نِصُوصٌ مَدُونَةٌ تَذَكَّرُ القَارِئُ بِالنُّطْقِ، ثُمَّ أَخَذُوا يَسْتَعْمِلُونَ بَعْضَ الحُرُوفِ كَعَلَامَاتٍ لِلحَرَكَاتِ تَسَاعِدُهُمْ عَلَى ضَبْطِ النُّطْقِ وَحِفْظِ الكَلِمَاتِ مِنَ التَّحْرِيفِ، وَكَانَتْ «الأَلْفُ وَالهاءُ وَالواوُ» تَقُومُ بِهَذِهِ الوَظِيفَةِ^(١).

وَفِي هَذِهِ المَرِحَلَةِ تَأَثَّرُوا بِالقَلَمِ الأَرَامِيِّ، إِذْ نَشَأَ عِنْدَهُمْ نَوْعٌ جَدِيدٌ مِنَ الرِّسْمِ عُرِفَ بِ«الرِّسْمِ العِبرِيِّ الحَدِيثِ» أَوْ «المَرَبَّعِ»: الَّذِي اسْتَعْمَلَ أَوَّلًا فِي الشُّؤْنِ الدِّينِيَّةِ، حَتَّى نِهَائِيَّةِ القَرْنِ الثَّانِي ق.م. وَفِي القَرْنِ السَّادِسِ المِيلَادِيِّ اسْتَعْمَلُوا حُرُوفَ العِلَّةِ كَعَلَامَاتٍ

١. يُنظَرُ: المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية: ٦٥.

للحركات، وفي بداية القرن الثامن الميلاديّ اخترعوا
أبعاض الحروف كنظام للحركات يضارع ما موجود في
لغة العرب، واتخذ ثلاث طرق:

١. طريقة طبرية: وترمز إلى أصوات المد القصيرة
تحت الحروف.

٢. الطريقة البابلية أو العراقية ترمز إلى أصوات
المد فوق الحروف.

٣. الطريقة الفلسطينية شابهت الطريقة العراقية
لكنها تختلف في الصورة والدلالة.

فهي مادة جديدة أُعيد بناؤها بصورة جبرية لتكون
لغة مجاميع بشرية هي ليست لغتهم ويرفض علم اللغة
الحديث أن تكون هذه وسيلة التفاهم الطبيعية لهذه
الجماعات المتنافرة، فمن الناحية الصوتية تأثرت العبرية
الحديثة باللغات الأوربية مثلاً إن الصاد باتت تُنطق z
إلى جانب كون العبرية الحديثة مليئة بالكلمات والألفاظ
والتراكيب والتعابير الأوربية^(١).

الطور العبري الثالث « الحديث »

ثانياً: المؤابية: وهي لهجة المؤابين نسبة إلى بلاد
«مؤاب» في الجنوب الشرقي من البحر الميت، ويعود
أصل المؤابين إلى نبي الله لوط (ع)، وأهم ما وصل إلينا
من بقايا هذه اللغة نقش الملك المؤابي «ميشع» الذي
سجل فيه حروبه وغزواته لملك بني إسرائيل، ويرجع
تاريخه إلى حوالي (٨٥٠) ق.م. ولا تختلف لغة هذا

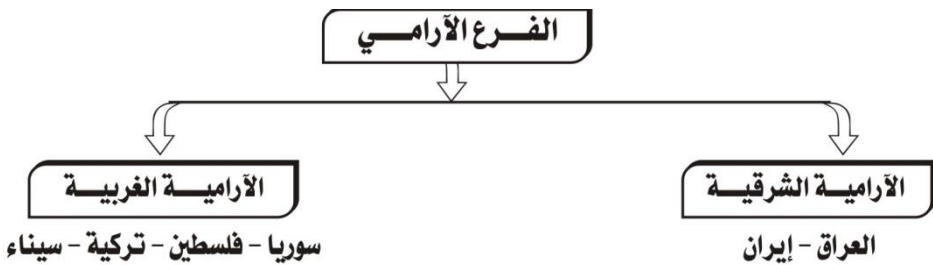
١. يُنظر: علم اللغة العربية (حجازي): ١٧١، والمدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية: ٦٩.

النقش أو أسلوبه كثيراً عن لغة العهد القديم وأسلوبه،
ومن المؤكّد أنّ اللغة في فهم المؤابيين تختلف عنها في
فهم اليهود من الناحية الصوتية، لأنّ النقوش تهمل
الحركات أو بعض الأصوات وحتى نبر الصوت^(١).

الفرع الآرامي

وهو الفرع الثاني من اللغات الغربية الشمالية، ويضمُّ هذا الفرع مجموعة من
اللهجات المتقاربة في بنيتها اللغوية، وقد اتسع المجال الجغرافي لهذا الفرع حتى شمل
كلّ بلاد الشام وفلسطين، فضلاً عن بلاد وادي الرافدين وغرب جبال أرمينا
وكردستان، وقد سُمّيت هذه البيئة ومنطقة مدائن الملوك الساسانيين «بلد
الآراميين» أو «بلد السريان»^(٢).

والآرامية، وهي لغة من تنقل في أطراف الجزيرة العربية بالقرب من الخليج
العربي فضلاً عن مناطق جنوب سورية، وتقسّم على قسمين: شرقية وغربية.

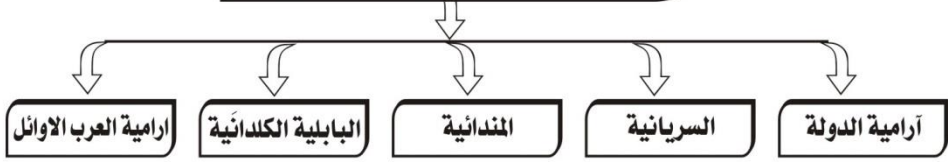


أما الشرقية فشملت آرامية العراق وإيران:

١. يُنظر: الأساس في فقه اللغة (هادي نهر): ١١٩.

٢. يُنظر: الأساس في فقه اللغة العربية: ١٢٠.

اللهجات الشرقية لأرامية العراق وايران



ومن أهم لهجاتها^(١):

١. آرامية الدولة: وهي اللغة المستعملة في الكتابات قبيل القرن السابع إلى الخامس قبل الميلاد، وسميت بهذه التسمية لأن الدولة الأخمينية قد اعترفت رسمياً باللغة الآرامية كلغة رسمية للدولة.
 ٢. السريانية وقيل هي الأثرية إذ أطلقت هذه التسمية على جماعة من السريان النساطرة الذين يسكنون أورمية إيران فضلاً عن مناطق شمال العراق وتركيا، وكانوا يتكلمون اللهجة الآرامية العامة. وبعد انقسام الكنيسة السريانية انقسمت اللغة السريانية على قسمين:
 ١. السريان الغربيين الذين خضعوا للإمبراطورية اليونانية الذين اعتنقوا مذهب «يعقوب بارادوس» القائل بوحدانية المسيح، وقد عرفوا «باليعاقبة».
 ٢. السريان الشرقيين الذين خضعوا للسلطة الإمبراطورية الإيرانية الذي اعتنقوا مذهب «نستوريوس» القائل بازدواج طبيعة المسيح «الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية» وعرفوا بالنساطرة.
- ومن خصائصها: استبدال صوت «ح» بـ «خ» والـ «هـ» بـ «ء»، وفقدان فعلي الماضي والمضارع والاستعاضة عنهما باسمي الفاعل والمفعول.
٣. المندائية: وهي لهجة آرامية شرقية ارتبطت بجماعة دينية عرفت

١. يُنظر: تاريخ اللغات السامية: ١١٥، والأساس في فقه اللغة: ١٢١.

باسمِ الصابئة، وللمندائيين كتابٌ مقدسٌ يعرفُ «جنزا» أي الكنز، وقد جمعوا في هذا الكتابِ ترانيمهم الدنيئة وآراءهم في الدين، وما زالَ المندائيون يتعاملونَ داخلياً بلهجتهم الآرامية^(١) ومن بعضِ خصائصِ هذه اللهجة^(٢):

- عنايةُ الشديدةُ بأصواتِ المدِّ حتى أنها لم تتركْ صوتاً دونَ أنْ يُرمزَ إليه.
- استحالةُ صوتِ «الحاءِ» إلى صوتِ «الهاءِ» وقد يذوبُ هذا الصوتُ تاركاً محلّه صوتَ الألفِ أو الفتحة، أو يتحولُ إلى ياءٍ.
- تكتبُ العينُ وتلفظُ همزةً أو هاءً.
- يجذفُ صوتُ الحاءِ من الكلمةِ تاركاً تشديدَ الحرفِ الذي سبقه.
- تُبدلُ القافُ كافاً مثلَ «كوشطا» «قسطا» «قشتا».
- سقوطُ واوِ الجماعةِ من فعلِ الأمرِ.

٤. آراميةُ التلمودِ البابلي^(٣): وهي الآراميةُ التي دُوِّنَ بها التلمودُ البابليُّ بالآراميةِ الشرقيةِ التي كانتْ سائدةً في العراقِ، إذ ارتبطتْ هذه اللهجةُ بكتبِ اليهودِ المقدسة، فقد سلكَ علماءُ اليهودِ في بابلَ إلى شرحِ «المنشا» وهو نصٌّ دينيٌّ يهوديٌّ أُلفَ بعدَ سنةِ «٧٠» ميلاديةً حينَ انتهى آخرُ كيانِ يهوديٍّ في فلسطينَ، بالآراميةِ في أسفارٍ عُرِفَتْ بـ«الجمارا».

٥. آراميةُ الكلدان: وهي اللغةُ التي يتكلمُ بها الكلدانيونَ في شمالِ العراقِ، وقد تأثرتْ هذه اللهجةُ كثيراً باللغَةِ العربيَّةِ والكرديَّةِ والتركيَّةِ.

١. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٨٢-١٨٣.

٢. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٣٣.

٣. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٦٩-١٧٠.

٦. آرامية العرب الأوائل: إذ تكلم بها:

■ التدمريون: ولهجتهم قريبة الشبه باللهجة النبطية التي كانت على صلة تجارية معها، وقد تأثرت هذه اللهجة أيضاً باللغة اليونانية واللاتينية، وذلك لكثرة الكلمات التي تعود إليهما مثل: جراماتس، أركونيا، سدقيا، هبطيقيا، بيلوطا^(١) من خصائص هذه اللهجة:

١. أسماءهم عربية خالصة.

٢. تمثلت كتاباتهم بالألفاظ والتعابير العربية.

٣. تضمنت بعض أسماء الأسر والقبائل قبلها لفظة

«بني» بمعنى «آل».

■ والحضريون: هم من سكنوا مدينة الحضر في مدينة الموصل، من خصائص هذه اللهجة:

١. وجد كثير من الأسماء والأعلام العربية.

٢. خلت من علامات الإعراب.

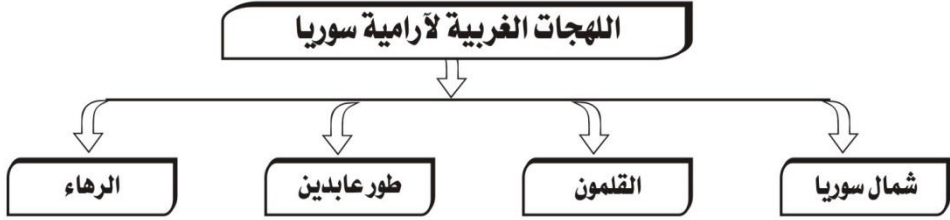
■ والأنباط^(٢): هم العرب الذين سكنوا شرق الأردن وسينا وشمال بلاد العرب، عُرف عنهم الخط النبطي الذي امتاز بالميل إلى ربط الحروف مع بعضها، فضلاً عن قراءة السين شيئاً مع وجود حرف السين، واستعمال التاء محلّ الطاء والعكس. كما تُدغمُ الغينُ والحاءُ عند اجتماعهما، استعملوا الإعراب بحركاته الضمة والفتحة والكسرة. ليس للتنوين وجود في النبطية، غالبية أسماء الأنباط عربية «حسنو» حسن، «لطفو» لطف، أداة التعريف فيها هي الألف الممدودُ بنهاية الاسم «نفسا» نفس.

١. يُنظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٣٤.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٨١-١٨٢.

تصغيرُ الأسماءِ عندهم يكونُ باستعمالهم وزنَ «فَعِيلٍ وفُعَيْلتٍ» بضمِّ
الفاءِ وفتحِ العينِ.

أما الغربيةُ ومن لهجاتها «آراميةُ سوريا، وفلسطينية، وتركية، وآراميةُ سينا»



آراميةُ سوريا

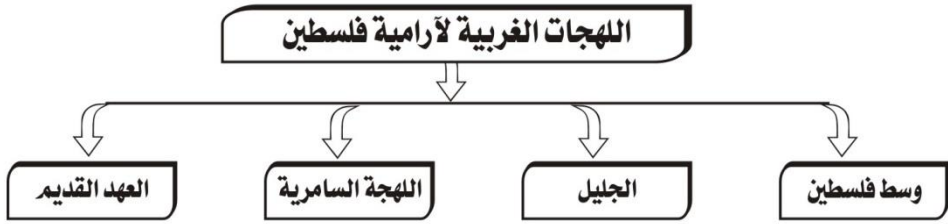
- آراميةُ دويلاتِ شمالِ سوريا: وهي أقدمُ اللهجاتِ الآراميةُ التي وصلتُ من خلال التماثيلِ والهياكلِ وما دوّنَ على الصخرِ، إذ تعدُّ مدوناتُ الملكِ شمئُلَ من أقدمِ المدوناتِ التي تمثلُ دويلاتِ سوريا من القرنِ الثامنِ قبلَ الميلادِ. ومن خصائصِ هذه اللهجة: استعمالها صوتَ «القافِ» الذي تحوّلَ في اللهجاتِ الأخرى إلى صوتِ «العينِ» مثلاً ذلك كلمةُ «أرقا» بمعنى «الأرضِ» إلى «أرعا»^(١).
- آراميةُ قرىِ منطقةِ القلمونَ: وهي لهجةٌ آراميةٌ حديثةٌ يتكلمُ بها الآنَ بعضُ قرىِ هذه المنطقةِ لاسيما قريةً معلولة، وتتميزُ بقلبِها القافَ إلى كافٍ في كثيرٍ من الألفاظِ.
- آراميةُ طورِ عابدينَ: وهي لهجةٌ حديثةٌ، تُعرَفُ بالطورانيةِ يتكلمُ بها

١. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٧٣.

سكان المنطقة الجنوبية الشرقية من تركيا، وتحتوي هذه اللهجة على كثير من الكلمات العربية والكردية والتركية، وتستعص عن الفعل الماضي والمضارع باسمي الفاعل والمفعول.

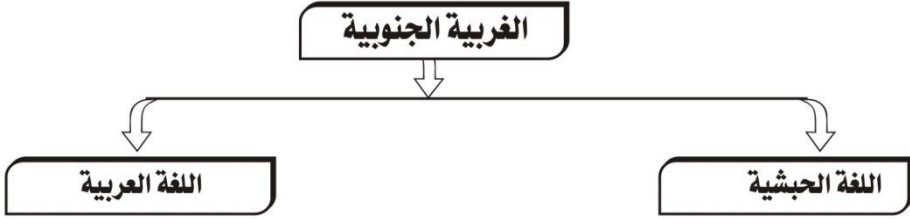
- آرامية الرهاء «أديسا» وتُعرف أيضاً بالسريانية، ومن سماتها مدُّهم للحرف «أ» الطويل إلى «واوٍ طويلةٍ»، الشرقيون يقولون «الها» الله والغربون يقولون «الوهو» دون تشديد.

آرامية فلسطين:



- آرامية وسط فلسطين: وهي اللهجة التي كانت سائدة في العهد الروماني وقد جاءت متأثرة بالعبرية.
- آرامية الجليل: وهي مشابهة للسابقة.
- اللهجة السامرية: وهي لهجة تكلم بها قوم كانوا بالأصل من اليهود وانفصلوا عنهم في أواخر القرن الثامن ق.م. وهذه اللهجة في الحقيقة خليط من آرامية سوريا وبابل، وقيل إن لهجتهم لم تختلف كثيراً عن آرامية وسط فلسطين والجليل، ومن خصائص هذه اللهجة أن أصوات الحلق (الحاء والهاء والعين، تُلْفِظُ همزة).
- آرامية أسفار العهد القديم: تتمثل هذه الآرامية بالفصول المدونة بالآرامية من العهد القديم من أسفار عزرة ودانيال.

الغربية الجنوبية ومن لغاتها/الحبشية والعربية



أولاً: الحبشية قيل: هي لغة القبائل العربية التي هاجرت من جنوبي الجزيرة العربية، وأهم هذه القبائل، قبيلة حبشت وقبيلة الأجعازي، وسُميت هذه المنطقة بالحبشة نسبةً إلى القبيلة الأولى، ولعلَّ أصل أقوام هذه البيئة جعل منها بيئةً ساميةً.

وقيل إنَّ العشائر اليمنية التي هاجرت إلى الحبشة قد امتزجت مع السكان الأصليين في هذه البيئة اللغوية، وأثرت فيهم لغوياً، إذ تركت اللغة اليمنية القديمة آثارها الواضحة على اللهجة الحبشية، ويمكن أن نلاحظ هذا التأثير في المستوى الصوتي والتركيبى فضلاً عن المفردات، وإلى جانب ذلك ظلَّ الخطُّ السبئيُّ والحبشيُّ يُستعملان معاً مدةً طويلةً^(١).

أشهر اللهجات الحبشية

اللهجة الجعزية: التي تُعرف بالحبشية القديمة، وقد عُثر على نقوشها في منطقة «كيسوم» وتُنسب نقوشها إلى الملك «عزانا» والملك «آل عميد» وقد اميت هذه اللغة

١. يُنظر: الأساس في فقه اللغة: ١٢٨،

بعد قيام مملكة «كوا» الأمهرية^(١) ومن خصائصها: كُتبت بخطّ مقطعيّ يتكون من «١٨٢» رمزاً أي لكل صوتٍ صامتٍ مع الحركة التالّية رمزٌ مُستقل، وعدد رموزها ٢٦ صوتاً صامتاً، ولها سبع حركاتٍ هي، فتحةٌ قصيرة، وفتحةٌ طويلة، وفتحةٌ ممالّةٌ طويلة، وفتحةٌ قصيرةٌ ممالّة، وضمّةٌ طويلة، وضمّةٌ قصيرة، وكسرةٌ طويلة. تُستعمل الفتحة في النصب «نيكوشا» ملك، والضمّة في حالة الرفع «نيكوش» والجمع «نيكوشان»، والتأنيث بإضافة التاء «نيكشت»، يكون التعريف بإضافة «يا» نقول: ساو «رجل» ياساو «الرجل».

مرّ الخطّ الجعزيّ بثلاثة أطوار:

- الطور الذي خلت فيه الكتابات من الحركات
- الطور الذي ظهرت به الحركات.
- الطور الذي ظهرت به الحركات شبيهة بتلك الحركات الموجودة في الكتابات المتأخرة.

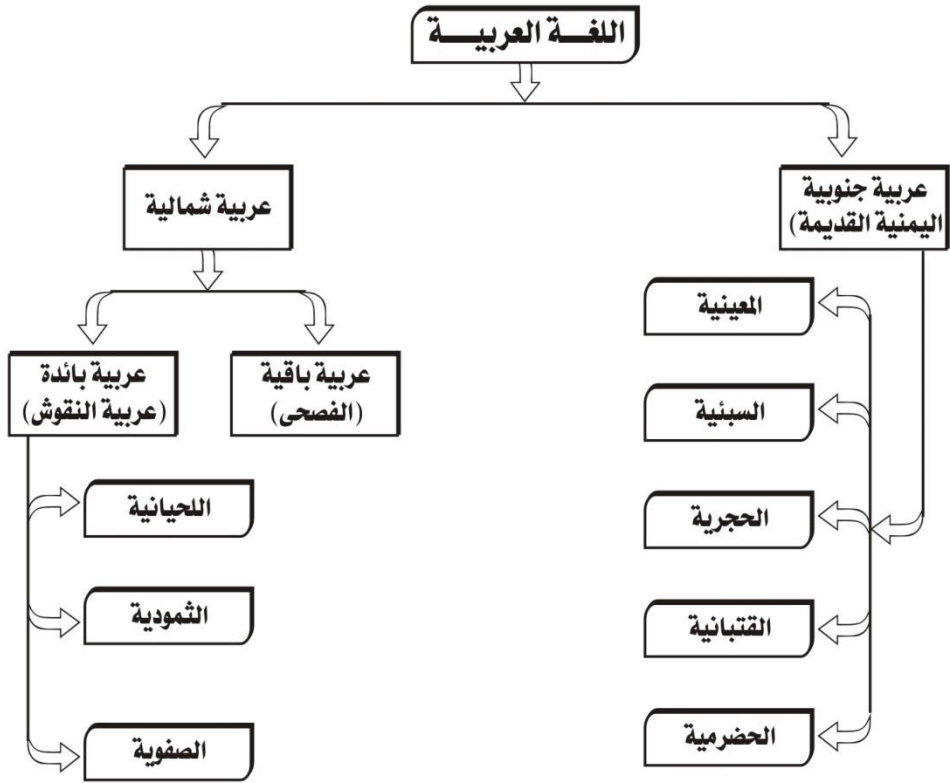
اللهجة الأمهرية وهي اللهجة المستعملة بين العامة والخاصة في أغلب مناطق الحبشة إلى يومنا هذا، وقيل إنّ هذه اللغة تعود إلى أصل جزريّ، غير أنّها أشدّ تأثراً باللغة الحامية، لأنّ أغلب مفرداتها مأخوذة عن الحامية الكوشية^(٢) ومن خصائص هذه اللهجة، وجود أصوات الحلق «الهاء والهمزة»، استعارتها لكثير من الكلمات الأفريقية من البيئات المجاورة.

الضائر في اللغة الحبشية: أنا...أنا، أنت...أنت، يعيتو... هو يعيتي... هي «ينحنا...نحن» أنتيمو...أنتم وأنتن «أيونتو هم» أيأنتو ويعيتون هن.

ومن أسماء الإشارة: «زه:ذا» «زا:ذه هذه» «زيكتو وزيكوتو: ذلك» «ايتساكي و ايتتيكو: تلك» «ايلليكتو: هؤلاء»

١. يُنظر: فصول في فقه اللغة: ٢٧.

٢. يُنظر: فقه اللغات السامية: ٣٤.



العربيةُ الشَّمالِيَّةُ وتقسُّمُها على قسمين: بائدةٍ وباقيَّةٍ العربيةُ الباقيَّةُ فهي الفصحى

لم تُعرفِ العربيةُ التدوينَ الواسعَ، فليسَ هناكُ آثارٌ أو نقوشٌ كثيرةٌ تدلُّ على نشاطٍ لغويٍّ متكاملٍ، وفي ضوءِ هذا النقصِ في الآثارِ المدوَّنةِ يجدُ الدارسُ نفسَه مضطراً إلى البحثِ عن الآثارِ الشفهيةِ التي نُقلتْ عن العربيةِ إذ تمثلتْ أساساً في الشعرِ الجاهليِّ المتداولِ بالحفظِ والروايةِ.

ومن خلالِ هذا المرويِّ والنظريِّ بتلكِ النصوصِ الجاهليةِ القديمةِ والآثارِ اللغويةِ التي جُمعتْ من بيئاتها اللغويةِ نجدُ أنَّ اللغةَ العربيةَ هي إحدى اللغاتِ

العروبية، التي تربطها بأخواتها العروبيات خصائص مشتركة، وقد بقيت أقرب تلك اللغات إلى الأصل، إن كانت أحدثها نشأةً وتاريخاً، وذلك لموقع العرب في بيئتهم الصحراوية، فلم تتعرض إلى ما تعرضت له اللغات العروبية الأخرى من الاختلاط والتميع. إلا أن بداية هذه اللغة مازالت غير معروفة من حيث الاستعمال اللغوي لها عند العرب، وجل ما نعرفه أن هناك لغتين تفرعت عنها سائر اللهجات العربية، هما لغة الجنوب أو اللغة الحميرية، ولغة الشمال وهي اللغة المضرية.

لغة الجنوب و لغة الشمال: قسمت هذه اللغة على قسمين و وسم كل قسم منها باسم البيئة الجغرافية التي تمثلت بها، فثمة لغة يمنية جنوبية و حجازية شمالية، فكانت لغة اليمن القحطانية تختلف عن لغة الحجاز العدنانية، في الأوضاع و التصاريح و أحوال الاشتقاق، وكانت لغة اليمن أكثر اتصالاً باللغة الحبشية و الأكديّة، و تعرف بالعربية الجنوبية و موطنها اليمن بلاد العرب الجنوبية، و يُطلق عليها اسم «اليمنية القديمة» أو «القحطانية» و يرى بعض الباحثين^(١) أن هذه اللغة ليست من اللغة العربية في شيء، على الرغم من أنها تؤلف معها شعبة لغوية واحدة، و ذلك اعتماداً على ما ورد عن أبي عمرو بن العلاء الذي قال: «ما لسان حمير و أقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا» و نحن لا نسلّم بهذا القول كون اللغة العربية الجنوبية فيها من الخصائص اللغوية المشتركة فضلاً عن الأصل الواحد الذي صدرت عنه اللغة العربية بفرعيها «القحطاني و العدناني».

ومن لهجاتها، المعينية: نسبة إلى المعينين الذين أنشأوا في جنوب اليمن أقدم مملكة في بلاد العرب، و قد وصلت لهجتهم عن طريق النقوش^(٢).

و السبئية: نسبة إلى السبئيين الذين أقاموا على أنقاض المعينين مملكة سبأ، و قد

١. يُنظر: فقه اللغة للدكتور علي وافي ٨٦.

٢. يُنظر: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (الدكتور منذر البكر): ١٦٩.

عُثِرَ على نقوش هذه اللهجة في منطقة مَأْرِبِ^(١).

والحجرية القديمة، والقبتانية^(٢)، والحضرمية: وهذه لهجات قديمة أتت عليها اللهجة السبئية، وقد وصلت إلينا عن طريق النقوش أيضاً.

ومن أهم خصائصها: كُتِبَتْ بالخطِّ المسند، انتهاءً الجمعِ السالمِ بالميمِ «حميرم»: الحميريون، والمؤنثِ السالمِ بالياء، أداةُ التعريفِ فيها النونُ، ذي مسندن: هذا المسند. وأداةُ التنكيرِ هي الميمُ، امسدم: جندي، واستعمالُ الواوِ للعطفِ، وحروفُ الجرِّ «ين، بعد، لن، عم بمعنى «مع» عد بمعنى «حتى» إلى)) عددُ حروفِ الهجاءِ فيها «٢٩ حرفاً»، إلا أنها استغنت عن حروفِ المدِّ^(٣).

وأمَّا لغةُ الحجازِ فهي أكثرُ اتصالاً باللغةِ العربيةِ و النبطيةِ. لأننا ومن خلال التقسيم نجدُها تقسمُ على قسمين: الباقية «وهي العربيةُ الفصحى» و البائدة وهي عربيةُ النقوشِ تكلمتُ بها قبائلُ عربيةٌ سكنتُ الحجازَ على مقربةٍ من حدودِ الأراميين، وقد بادتُ هذه اللغةُ قبلَ الإسلامِ، ولم يصلْ منها سوى النقوشِ التي عُثِرَ عليها في مساحةٍ واسعةٍ تمتدُّ من دمشقَ إلى مدائنِ صالح، وقد عُرِفَتْ نقوشُها بالحيائية^(٤)، نسبةً إلى قبائلِ حيانَ، والثموديةِ نسبةً إلى ثمودَ التي وردَ ذكرُها في القرآنِ الكريمِ، والصفوية^(٥) نسبةً إلى منطقةِ الصفا على مقربةٍ من جبلِ الدروز. وقد دلتِ الكتاباتُ على أن أصحابَ هذه البيئة كانوا من الجاهليةِ ففهم أسماءُ مثل «عبدُ مناة، وعبدُ إيل، وعبدُ يغوث، وتيمُّ اللاتِ) ومن خصائصها أيضاً: عددُ حروفِها ٢٨ حرفاً، فيها ضمائرٌ متصلةٌ و منفصلةٌ فضلاً عن أسماءِ الإشارةِ فيها حروفٌ للعطفِ («و، ف، ل) أما حروفُ الجرِّ فهي «الباءُ، وعن، وعلى، ومن) كلماتُ خاليةٌ

١. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ٢١٣، و دراسات في فقه اللغة: ٥٢.

٢. يُنظَرُ: دراسات في فقه اللغة: ٥٢-٥٤.

٣. يُنظَرُ: الأساس في فقه اللغة العربية و أرومتها: ١٢٨.

٤. يُنظَرُ: دراسات في فقه اللغة: ٥٦.

٥. يُنظَرُ: المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية: ٥٠.

من النقطِ وهذا ما يشكّل صعوبةً في القراءة. استعمال الفعل الماضي والمضارع والأمر، وقد استعملوا الخطّ النبطي في كتاباتهم أو ما كان مشتقاً منه.

وقد ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنّ لغةَ الجنوبِ القحطانيةَ كانتُ أصلاً من أصولِ العدنانية، واعتمدوا على النقوشِ المكتشفةِ حديثاً في اليمنِ، فقد وجدوا فيها عباراتٍ تنفُقُ والعربيةُ المضريةُ لفظاً وتركيباً. ففي أقدمِ النقوشِ مئاتٌ من الكلماتِ المشتركةِ بين اللغتينِ وبعضها مطابقٌ في رسمه ومعناه لما في اللغةِ العربيةِ مثلَ أخ، أخت، وثن، شبل، أسد، شهر.....

وقد تطورت اللغةُ المضريةُ الحجازيةُ بالتمازجِ و الاختلاطِ حتى وصلتُ إلى الحالةِ التي رأينا صورتها في الأدبِ العربيِّ الجاهليِّ وفي القرآنِ الكريمِ، وإليكِ الخطواتِ التي خطتها في سبيلِ اكتمالها:

١. اختلاطُ الحميريةِ بالعدنانيةِ: لقد ثبتَ أنّ قبائلَ جنوبيةً هجرتُ ديارها وانتشرتُ في الحجازِ وشمالِ الجزيرةِ قبلَ الميلادِ، وثبتَ أنّ عربَ الجنوبِ كثيراً ما ارتادوا الديارَ الشماليَّةَ للتجارةِ، واختلطَ القحطانيونَ بالعدنانيينِ اختلاطاً شديداً، وتقاربت اللغتانِ الحميريةُ والمضريةُ للتفاهمِ، واشتدَّ التفاعلُ والتطورُ مدةَ خمسةِ قرونٍ تقريباً. وقد تغلبتِ المضريةُ العدنانيةُ أخيراً على الحميريةِ القحطانيةِ لانهايارِ دولةِ الجنوبِ، ولأنَّ المضريةَ من أكثرِ اتساعاً، وأكثرِ انفتاحاً على الحضارةِ وأسبابها.
٢. اللهجاتُ القبليَّةُ: وكانَ للقبائلِ العربيةِ لهجاتٌ مختلفةٌ الفروعِ متحدةً الأصولِ، فمن ذلكَ كانَ الإبدالُ كقولهم في «الجباء» «الجِباع» ومنها كانَ بتقديمِ بعضِ أحرفِ الكلمةِ كقولهم «الصاعقة» و «صاقعة»، ومن ذلكَ ما كانَ في أوجهِ الإعرابِ كنصبِ خبرٍ ليسَ عندَ الحجازيينِ مطلقاً ورفعِهِ عندَ تميمٍ إذا اقترنَ الخبرُ «بإلاً» وإلى غيرِ ذلكَ من الظواهرِ اللغويةِ الخلافيةِ.

٣. اللغة الانتقائية: وتكونت بجانب اللغات القبلية المختلفة التي تنطقُ بها كلُّ قبيلةٍ ولا يعسرُ فهمُها على سائرِ القبائلِ، لغةٌ مثاليةٌ خاليةٌ من العيوبِ و الهفواتِ هي لغةُ المجتمعاتِ الأدبيةِ، ولغةُ الشعرِ والخطابةِ، انصهرتُ فيها جميعُ اللهجاتِ و اللغاتِ العربيَّةِ. وتكونتُ من أحسنِ ما في تلكَ اللغاتِ من عناصرٍ، ونفضتُ عنها جميعَ العيوبِ التي وسمتُ سائرَ اللهجاتِ، فبرزتُ أحسنَ بروزٍ في القرآنِ الكريمِ وفي ما وصلنا من الأدبِ الجاهليِّ الرفيعِ. وقد طغتُ على تلكَ اللغاتِ المثاليةِ لهجةُ قريشٍ لأسبابٍ سنأتي على ذكرِها، وكانتُ لهجةُ قريشٍ أقلَّ اللهجاتِ عيوباً وأفصحها بياناً.

أسبابُ تكوينِ هذه اللغةِ الأدبيةِ «العربيةِ المشتركةِ»

أ. الأسواقُ: كانَ العربُ يختلفونَ إلى تلكَ الأسواقِ في أوقاتٍ معيَّنةٍ لشؤونٍ تجاريةٍ وقضائيةٍ وأدبيةٍ ونسبيَّةٍ وغيرِها وهي أمكنةٌ شتى في الجزيرةِ العربيَّةِ، ومن أشهرِها سوقُ عكاظٍ قربَ مكة، ومجنتُ وذو المجازِ وكلاهما في ضواحي مكة المكرمة. أمَّا سوقُ عكاظٍ فهي ملكةُ الأسواقِ، وكانتُ تُقامُ من أولِ ذي القعدةِ إلى العشرينَ منه، وكانَ يجتمعُ فيها الأشرافُ والزُّعماءُ للمتاجرةِ والمنافرةِ والتحكيمِ في الخصوماتِ وأداءِ الحجِّ. فكانَ للأسواقِ أثرٌ بليغٌ في توحيدِ اللسانِ وتعميمِ اللغةِ المثاليةِ، وتغليبِ لغةِ قريشٍ على سائرِ اللغاتِ، لأنَّ أشهرَ الأسواقِ كانَ في بلادِهِم.

ب. قريشٌ: كانتُ مكةُ محطاً للقوافلِ من عهدٍ عهيدٍ، وكانتُ موطنَ قريشٍ موضوعَ إجلالٍ للعربِ لما ورثته من شرفٍ وسؤددٍ و ثراءٍ، كما كانتُ مقامَ الكعبةِ يفتدُّ إليها الحجاجُ من كلِّ الآفاقِ. فكانَ لقريشٍ نصيبٌ وافٍ في توحيدِ اللغةِ، تهذبُ لهجتها بما تأخذُه من لغاتِ القبائلِ الوافدةِ على بلادِها، مما خففَ على اللسانِ و عذبَ في السمعِ، وكانَ العربُ يقلِّدونَ لسانها، الشعراءُ و

الخطباء يؤثرون ما هو من ذلك اللسان لأنَّ أهمَّ الأسواق كانت في قريشٍ
والمحكِّمين فيها منهم أحياناً كثيرة، وكان الشعرُ ينتشرُ في تلك الأصقاعِ في
جميع أنحاء البلادِ حاملاً إليها لهجةَ قريشٍ وأسلوبها.

ت. الحضاراتُ المتاخمةُ: لم ينحصرِ العربُ في جزيرتهم بمعزل عن الحضاراتِ
المتاخمة، بل كانوا دائماً في احتكاكٍ مع من جاورهم. فأضيفتْ إلى لغةِ عدنانٍ
ثروةُ الحضارةِ القحطانيةِ و حضارةُ مصرَ - و فارسَ و الرومِ و الحبشةِ عن
طريقِ التجارةِ أو عن طريقِ التنافسِ بين الحيرةِ و غسانِ، و الفرسِ و الرومِ
من ورائها. فكانتِ اللغةُ تُوصلُ تطورها مكمِّلةً ما ينقصها بما تأخذه من
لغاتِ تلك الحضاراتِ الواسعةِ النطاقِ.

وهكذا وصلتِ اللغةُ العربيَّةُ إلى عصرِ الأدبِ الجاهليِّ، راقيةً، مزوَّدةً بمحاسنِ
لغاتٍ عديدةٍ و حضاراتٍ كثيرةٍ، تستطيعُ التعبيرَ عن كلِّ شيءٍ و الإفصاحَ عن
خلجاتِ النفوسِ و لواعجِ الصدورِ، و تصويرَ المناظرِ و الخواطرِ، و ما أنَّ ظهرَ
القرآنُ الكريمُ حتى ثبَّتَها و عملَ على حفظها بالرغمِ من تقلباتِ الأيامِ و أحداثِ
الأزمانِ.

اللغة العربية والآثار المنقولة:

المقصودُ بالآثارِ المنقولةِ النصوصُ اللغويةُ الاستعماليةُ سواءً في اللغةِ النفعيةِ «لغةِ
الاستعمالِ اليوميِّ» أو اللغةِ الأدبيةِ، إذ تمثلتِ اللغةُ العربيَّةُ بهذين الأثرينِ لتحديدِ
تاريخها و خصائصها و ملامحها اللغويةِ. و الأثرُ الأكثرُ دوراناً في لغةِ العربِ قبلَ
الإسلامِ هو الشعرُ الجاهليُّ و على الرغمِ ممَّا صاحبه من شكوكٍ و سلامةِ الأثرِ المنقولِ،
إلا أنَّ الاعتمادَ على نصوصه بحسبِ توثيقِ الرواةِ و علماءِ اللغةِ يعودُ بالفائدةِ الكبرى
على دراسةِ اللغةِ العربيَّةِ الفصحى و تبينِ أصولها قبلَ نزولِ النصِّ القرآنيِّ.

و بالنظرِ إلى طبيعةِ التناقلِ الشفهيِّ الذي وسمَ تداولَ الشعرِ الجاهليِّ صارَ من
الصعوبةِ بمكانٍ افتراضُ تاريخِ القدمِ قبلَ ظهورِ الإسلامِ تعييناً لأيِّ بدايةٍ على وجهِ

التحديد، ولذلك يقدّر الباحثون أنّ نصوص الشعر الجاهلي لا تتعدّد عن ظهور الإسلام «بداية نزول القرآن سنة ٦١٢م) بأكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن أو قرنين على أبعد تقدير.

وبناءً على تلك المعطيات تكون العربية الفصحى التي مثلتها تلك النصوص غير بعيدة عن ظهور الإسلام، أمّا المراحل التي سلختها من تاريخها حتى انتهت إلى ما وصلت إليه من الاكتمال، فليس من المتيسر التعرف عليه.

ومن خلال الاستعمال اللغوي اصطلاح القبائل العربية على لغة مشتركة متداولة في أنحاء واسعة امتدت من اليمن حتى الفرات، وللعرب في نشوء هذه اللغة الفصحى رأي يذهب إلى أنّها عين لهجة القرشية لأنّ قريشاً كانت أجود العرب انتقاءً للفصحى، وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم.

آراء المستشرقين في أصل العربية الفصحى^(١)

لقد ذهب المستشرقون في أصل العربية مذاهب شتى، ف«نولدكه»، يرى أنّ الفصحى تركبت من اللهجات الأساسية في جزيرة العرب كالحجاز ونجد وإقليم الفرات، لأنّ الاختلاف بين هذه البيئات قليل، وذهب جويدي إلى هذا المعنى.

أما نالينو فذهب إلى أنّها تولدت من إحدى اللهجات النجدية وتهذبت في زمن مملكة كندة ثم صارت اللغة الأدبية السائدة بين العرب. أما فيشر فقد ذهب إلى أنّها لهجة معينة ولكنه لم ينسبها إلى أيّة قبيلة من قبائل العرب. ويرى فولرز أنّها لهجة أعراب نجد واليمامة وقد أدخل الشعراء عليها تغييرات كثيرة، وزعم أنّ بقية بلاد العرب كانت تتكلم لغة مخالفة.

وهناك من زعم بأنّ الفصحى لم تكن لغة كلام بل هي لغة فنية قائمة فوق

١. يُنظر: فصول في فقه اللغة (رمضان عبد التواب): ٧٦-٧٧.

اللهجات وإن غدّتها جميعاً، كبر وکلان، ومارسيه.

ويرى أغلب الدارسين والباحثين بأنّها لغة انتقائيةٌ مشتركةٌ تشكلت أصولها وتوضحت مقاييسها لدى قبيلة قريش، ويرى الدكتور رمضان عبد التّوّاب أنّ اللغة العربيّة المشتركة ليست لهجة قريش وحدها بدليل وجود الهمز فيها وقريش لا تهمز. ويرى الدكتور تمام حسان أنّ الفصحى لغة العرب جميعاً نمت في المجتمع العربيّ في عمومها لا في قبيلة بعينها، وتقبّلت في نموّها عناصر لغوية من جميع اللهجات العربيّة حتى بدت قريبة إلى كلّ لهجة، ونحن نذهب لهذا المذهب لأنّ الأساس الذي قام عليه الوصف والتحديد هو الانعزال في كبد الصّحراء وعدم الاتصال بالأجانب قد تبدّد إذا ما علّمنا أنّ قريشاً، التي وصفها الفارابيّ ومَن قال بقوله فيما بعد «في أول نصّه من كتابه الحروف/ ١٤٥) - كان لها في الجاهلية من اتصال ببلاد الشام واليمن والعراق وبالحبشة فضلاً عن وجود جالياتٍ أعجميةٍ وعددٍ كبيرٍ من الرّقيق بينهم، وما وجود المعرّبات في لغتهم إلا حجة على تأثر لسانهم بالأعاجم وأخذهم منه فكيف تكون هي اللغة الفصحى أو هي من تمثّلت بها العربيّة المشتركة؟.

خصائص اللغات العروبية والمثال العربيّ «في العربيّة الفصحى»

عنيّت كتب النحو المقارن في اللغات السّامية/ وكلّها كتبٌ أوروبية/ ببيان الخصائص التي تتسم بها اللغات العروبية، ومن الطبيعيّ أن تتناول هذه الدراسات الجوانب الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية.

في الصوت^(١):

وقد لاحظَ الباحثون الغربيون أنَّ اللغاتِ العروبيةَ تضمُّ مجموعةَ أصواتٍ لا توجدُ في اللغاتِ الأوربية، ولذلكَ بيَّنوا وجودَ هذه الأصواتِ في حديثهم عن الخصائصِ العامةِ للغاتِ العروبية، والمقصودُ بهذه الأصواتِ مجموعةُ أصواتِ الحلقِ وهذا أهمُّ ما يميِّزُ اللغاتِ العروبيةَ وهو احتوائُها على مجموعةٍ من الأصواتِ اللغويةِ الخاصةِ بها، بحيثُ يندرُ أن ترى نظيرَها في اللغاتِ الأوربيةِ أو غيرها، و الأصواتُ هي: أصواتُ الحلقِ «ع، غ، ح، خ، ه، ء» وهي تلك الأصواتُ التي تخرجُ من الحلقِ:

حروفُ الحلقِ		
ع	ء	الأكادية
ح	ه < هـ	الأكادية
خ	ح	العبرية والأرامية
غ	ع < ء ع	الأكادية العبرية، الأرامية، الأثيوبية

فضلاً عن أصواتِ الإطباقِ «ص، ض، ط، ظ» وهي أصواتٌ تشتركُ في سمةٍ واحدةٍ تتلخَّصُ في اتخاذِ اللسانِ شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنكِ الأعلى ويرجعُ إلى الوراءِ قليلاً، والواقعُ أنَّ هاتينِ المجموعتينِ موجودتانِ بدرجةٍ متفاوتةٍ في اللغاتِ العروبيةِ المختلفةِ:

حروفُ الإطباقِ		
ض	ص ع	الأكادية، العبرية، الأوغاريتية الآرامية
ظ	ص ط	الأكادية، العبرية، الإثيوبية الآرامية

١. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٣٩-١٤٢.

فضلاً عن صوتِ الفاءِ، فليسَ كلُّ لغةٍ عروبيةٍ تضمُّ كلَّ الأصواتِ الحلقيةِ والمطبقةِ الموجودةِ في العربيَّةِ، وليسَ هنالكَ لغةٌ عروبيةٌ تخلو من أصواتِ الحلقِ والإطباقِ كونهما وحداتٌ صوتيةٌ متميزةٌ ففي العربيَّةِ مثلاً هنالكَ فرقٌ دالٌّ بينَ «سألَ» و«سألَ» وهذا الأمرُ لا نجدُه في اللغاتِ الأوربيةِ كرمزٍ صوتيٍّ بل هي وسيلةٌ نطقيةٌ لبيانِ نطقِ الحركةِ الصوتِ كصوتِ «a» من كلمةِ (abart) في اللغةِ الألمانيةِ.

ويرى أكثرُ الباحثينَ أنَّ أصواتَ الحلقِ في اللغاتِ العروبيةِ موروثَةٌ عن اللغةِ العروبيةِ الأمِّ، واللغةُ العربيَّةُ تُعدُّ بصفةٍ عاميةٍ أصدقَ تعبيراً عن العروبيةِ الأولى، إذ تضمُّ اللغةُ العربيَّةُ بفرعَيْها الشماليَّةِ والجنوبيَّةِ ستةَ أصواتٍ حلقيةٍ، وتضمُّ اللغاتُ العروبيةُ الأخرى أصواتاً حلقيةً بعددٍ أقلِّ، والسببُ في ذلكِ اختزالُ بعضِ الأصواتِ بصوتٍ واحدٍ كصوتي الخاءِ والحاءِ أصبَحَا في العبريةِ صوتاً واحداً وهو «الحاءُ»، وهذا الأمرُ عينُه في أصواتِ الحلقِ نجدُ ثمةَ أصواتاً حلقيةً أكثرَ ثباتاً في أرومةِ اللغاتِ العروبيةِ هي «الصادُ والقافُ والطاءُ»، ولكنَّ «الضادَ والظاءَ» قد تعرَّضا للتغييرِ الصوتيِّ في عددٍ من اللغاتِ العروبيةِ، فكلُّ «ضادٍ وصادٍ وظاءٍ» في العربيَّةِ يقابلُها صوتُ «الصادِ» في العبريةِ. وهذا الأمرُ نفسه بالنسبةِ للغةِ الأكديَّةِ، أمَّا صوتُ الضادِ في اللغةِ الآراميةِ فقد تحوَّلَ إلى قافٍ ثم إلى عينٍ، ويعدُّ هذا التحولُ من أصعبِ التحولاتِ الصوتيةِ تفسيراً.

في بنيةِ الكلمةِ^(١)

تكوينُ المادةِ اللغويةِ: تتكوَّنُ المادةُ اللغويةُ في العروبياتِ من أصولٍ ثلاثيةٍ في مرحلةِ النضجِ والتكاملِ، لأنَّ ثمةَ اتجاهاتٍ علمياً يقضي بأنَّ الأصلَ الشائئِيَّ مرحلةٌ متقدمةٌ من مراحلِ المادةِ اللغويةِ.

ترتيبُ المادةِ اللغويةِ: الأصلُ الثلاثيُّ في السامياتِ يلزِمُ ترتيباً واحداً إذ تبقى

١. يُنظَرُ: المصدر نفسه: ١٤٢-١٤٦.

الأصوات الساكنة في المشتق، مهما اشتققنا من الأصل، فمادة: دَرَسَ مثلاً يُشتقُّ منها: دارسٌ، مدرّسٌ، دراسةٌ.... فنجدُ موضعَ الدال هو الفاءُ، والراء هو العينُ، والسين هو اللامُ.

التزامُ المادةِ اللغويةِ على دلالةٍ واحدةٍ وهذا يعني أن المادةَ لا تتغيرُ إلا بالمجازِ والخروجِ عن الحقيقةِ أو النحتِ من أصولٍ لغويةٍ.

ويتحدّدُ المعنى الخاصُّ لكلِّ كلمةٍ من هذه الكلماتِ المشتركةِ في الجذرِ اللغويِّ بمعاييرٍ أخرى، فالحركاتُ المختلفةُ من ضمٍّ وفتحٍ وكسرٍ- تشكّلُ الصيغَ المختلفةَ داخلَ الإطارِ الدلاليِّ الذي حدّدتهُ الصوامتُ كبناءِ الفعلِ للمعلومِ والمجهولِ، أو بإضافةِ السوابقِ كالميمِ في مدرّسٍ من دَرَسَ، أو عن طريقِ إلحاقِ نهايةٍ تؤدّي معنى محددًا كالجمعِ والتثنيةِ.

وعلى هذا يقومُ بناءُ الكلمةِ في اللغاتِ العروبيةِ على أساسينِ متكاملينِ: هُما/ المادةُ اللغويةُ، والوزنُ.

وتُصنّفُ الأسماءُ في اللغاتِ العروبيةِ وفقَ معاييرَ ثابتةٍ يمكنُ تطبيقها على كلِّ اللغاتِ العروبيةِ لأنّها مستخرجةٌ منها، وعلى ذلكَ يمكنُ ملاحظةَ تحديدِ معاييرِ تغيراتِ الصيغِ في الأسماءِ وفقَ ثلاثةِ جوانبٍ: العددِ/ الحالةِ الإعرابيةِ/ الجنسِ.

والمقصودُ بالعددِ كلُّ ما يتعلّقُ بالأفرادِ والتثنيةِ والجمعِ، فكلُّ اسمٍ في اللغاتِ العروبيةِ لابدّ أن يعبرَ عن مفردٍ أو عن مثنى أو جمعٍ، وهذا الأمرُ غيرُ موجودٍ في اللغاتِ الأوربيةِ الحديثةِ فتقسيمُ الأسماءِ فيها تقسيماً ثنائياً، فهناك صيغةٌ للمفردِ تسمى «(singular)» وصيغةٌ لغيرِ المفردِ تسمى (plural)^(١).

فالاسمُ الدالُّ على اثنينٍ أو اثنتينِ له في اللغاتِ العروبيةِ صيغةٌ متميزةٌ هي صيغةُ المثنى القياسيةُ في اللغةِ العربيّةِ، ويبدو أن صيغةَ المثنى كانتُ هكذا في اللغةِ العروبيةِ

١. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٤٨.

الأمّ، ولكنّ استخدام هذه الصيغة قلّ في بعض اللغات السامية مثل العبرية، فلم تُعدّ صيغةُ المثني تستخدمُ فيها إلاّ في الأشياء التي توجد في الواقع الخارجي مثلى مثل: اليدين والرجلين.

أمّا الحالة الإعرابية: فذات تنوع ثلاثي، وقد أطلق النحاة العربُ على هذه الحالات الإعرابية مُصطلحات: الرفع والنصب والجرّ، ويعدّ الإعرابُ على هذا النحو الثلاثي في العربية امتداداً للغة العروبية الأولى، وقد احتفظت اللغة العروبية الأكديّة بظاهرة الإعراب على هذا النحو أيضاً، فالخطُّ الأكديُّ يثبُت الحركات دائماً، ولذا فقد أمكن التعرف من رموزه المدونة على حقيقة أن الاسم في الأكادية كان يتخذُ ثلاثة أشكال، ينتهي أحدها بالضمّة وثانيها بالكسرة وثالثها بالفتحة، وتطابق هذه الأشكال الثلاثة للاسم الأكديّ الأشكال المقابلة في العربية بالضمّة والكسرة والفتحة.

ولم تحتفظ أكثر اللغات العروبية بالنهايات الإعرابية، ولكنّ الباحثين يرون الإعراب على نحو ما تعرفه العربية وما عرفته الأكديّة ظاهرة أصيلة في اللغات العروبية الأولى.

أمّا من ناحية الجنس، فصنّف اللغات على هذا النحو أي ما يُطلق عليه بالمدكّر والمؤنّث، ولا علاقة هنا بين الواقع الخارجي والصيغ اللغوية، وإنّما تعارف النحويون على وصف صيغة الاسم بأثما من المدكّر أو المؤنّث على سبيل الاصطلاح والتقريب فقط، وتضح نسبة هذا التقسيم بالنظر في الأشياء التي ليس لها بحكم طبيعتها أي نصيب من التذكير والتأنيث مثل: الكتاب والشمس... إلخ «الجنس في هذا يخضع للواقع الخارجي» ولكن كلّ اسم في اللغة العربية أو في اللغات السامية الأخرى ينبغي أن يُصنّف من ناحية الجنس، وهنا تصبّح بعض هذه الأشياء من المدكّر وبعضها من المؤنّث لاعتبارات شكلية، أو تعكس بعض رواسب الفكر الإنساني القديم، فكلّ الأسماء الدالّة على الجمادات التي تنتهي بتاء التأنيث تُصنّف في

العربية على أنها كلمات مؤنثة، كلفظ: المنضدة. وهناك لغات أخرى لاتصف الأسماء وفق هذا الاعتبار «مذكر، مؤنث» بل تأتي بقسيم ثالث يسمى «بالاسم المحايد» كاللغات الجرمانية.

الصيغة الصرفية للفعل: تُصنّف اللغات العروبية الفعل فيها إلى صيغ عدة، ويُطلق على هذه الصيغ الموجودة في العربية: المضارع والماضي والأمر، وهكذا حال الفعل في اللغات العروبية القديمة في الشام والحبشة، ولكن اللغة الأكديّة طورت لنفسها نظاماً مخالفاً إلى حد ما، ففيها الكثير من الصيغ الفعلية التي لا تعكس ظاهرة موروثه على نحو مباشر من اللغة السامية الأم، لأنّ الفعل في اللغات العروبية له زمانان الماضي والحال أو الاستقبال، ويُستثنى من ذلك اللغة الأكديّة فيها للفعل ثلاثة أزمنة هي زمنٌ انتهى وزمنٌ الحال وزمنٌ ممتدٌ مستمر. والزمن في العربية فيه نوعٌ من التنوع وإن كانت الصيغ الصرفية غير متنوعة، فالماضي يُستعمل للتعبير عن الحاضر أو المستقبل كجملة الشرط، والحال عينها في المضارع المنفي وزمن الماضي لم يكتب، والماضي المستمر، كان يكتب، ويتحدّد معنى الصيغة المستعملة وفق بنية الجملة والقرائن اللفظية والمعنوية التي تحدّد الزمن النحويّ إلى جانب دلالة الصيغة الصرفية.

في بناء الجملة^(١):

أما من ناحية بناء الجملة فالاختلاف كبير بين اللغات العروبية في عصورها القديمة واللغات العروبية في العصور التالية، ويبدو أنّ اللغة العروبية الأولى لم تكن ذات جمل طويلة، بل كانت جملًا قصيرة وترتبط الجملة بالأخرى عن طريق الواو، وهذا الأمر موجود في العبرية والعربية، فالعربية والعبرانية كلتاهما تبدأ الجملة الفعلية فيهما بالفعل ولا يلزم أن نذكر اسمًا قبل الفعل لا مضمراً ولا ظاهراً، فتقول طلعت الشمس وظهر الحق، ولو ذكرنا الضمير «أنا» قبل الفعل الماضي لم يصح

١. يُنظر: علم اللغة العربية: ١٤٨.

إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَيْهِ بَل تَتَّصِلُ بِهِ وَجُوبًا تَاءً مَتَكَلِّمٌ فَنَقُولُ فِي الْعَرَبِيَّةِ: أَنَا تَعَلَّمْتُ وَفِي الْعِبْرَانِيَّةِ: إِنِّي لَامَدْتُ^(١) وَلَكِنَّ الْجُمْلَةَ فِيهَا بَعْدُ أَخَذْتُ حَجْمًا وَشَكْلًا آخَرَ، إِذْ أَصْبَحَتْ جُمْلَةً طَوِيلَةً وَمُعَقَّدَةً، فَالْجُمْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَعْقِدُتُ مَعَ تَطَوُّرِ الْفِكْرِ وَرَقِيَّةٌ تَعْقِدًا كَبِيرًا، وَأَهْمٌ مَكُونٌ لِلْجُمْلَةِ الْعَرُوبِيَّةِ «الْفِعْلُ» الَّذِي يَرْبِطُ بِهِ الْاسْمَ أَوْ الضَّمِيرَ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا.

الاشتراك في الألفاظ الأساسية:

هنالك ألفاظٌ أساسيةٌ تشترك فيها اللغاتُ العروبية، أي أن هذه الألفاظُ ترجعُ إلى أصلٍ اشتقاقِيٍّ واحدٍ في اللغةِ العروبيةِ الأمِّ. فكلمةُ «هالك» في العرييةِ يقابلُها في العبريةِ «هالخ»، ومعنى ذلك أن كلا الفعلين يرجعُ إلى الجذرِ اللغويِّ «ه، ل، ك» أمَّا دلالةُ الفعلِ في العرييةِ يدلُّ على الذهابِ إلى العالمِ الآخِرِ، أمَّا في العبريةِ فيدلُّ على مُطْلَقِ الذهابِ.

ومثل ذلك كلمةُ «لحم» في العرييةِ و العبريةِ، إلا أن دلالتها في العبريةِ تختلفُ عن العرييةِ أي أنها تدلُّ على «الخبز»، ولعلَّ هذه الدلالةُ ترشحتُ من اللغةِ الأمِّ التي أدَّتْ فيها لفظُ «لحم» معنى الطعامِ اليابسِ، وعلى هذا يكونُ المعنى في العبريةِ ضَرْبٌ من التخصيصِ^(٢).

ومن الكلماتِ المتشابهةِ في اللغاتِ الساميةِ «أخ، ماء، بيت، عين، رأس، كلب، لسان...»

١. يُنظَرُ: حديث مع زائر كريم مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة السادسة. العدد الرابع. ربيع

الثاني ١٣٩٤هـ. أبريل ١٩٧٤م. ص: ٢٠.

٢. يُنظَرُ: علم اللغة العربية: ١٤٨.

العربية	الإثيوبية	الأكادية	الأوغاريتية	الآرامية	العبرية
أخ	أختُ	أخو	أخ	أحَا	أخ
بعل	باعِل	بيلُ	بعل	بَعلا	بَعَل
كَب	كلب	كلبُ	كلب	كلبا	كَلِف
ذُبَاب	زَمب	زَمبُ	.	ذَبَاثا	زَفوف
زَرع	زَرع	زيرُ	درع	زرعا	زرع
رأس	رِيس	رِيشُ	ريش	ريشا	رَأش
عين	عين	ينُ	عن	عينا	عَيْنُ
لسان	لسان	لِشان	لسن	لِشانا	لِشَن
سِن	سِن	شَنُ	.	شَنانا	شِن
سماء	سماي	شمو	شمم	شَميّا	شمايم
ماء	ماي	مُو	مي	مِيا	مِيم
بيت	بِت	بِيتُ	بت	بيتا	بِيت
سلام	سلام	شلامُ	شلم	شِلاما	شُلوم
اسم	سِم	سُمُ	شم	شِما	شِم

إنَّ أكثرَ هذه الخصائصِ المشتركةِ موروثَةٌ عن اللغةِ العروبيةِ الأُمِّ، فتلكَ الظواهرُ ميراثٌ عروبيٌّ قديمٌ، وقد تواضعتْ هذه اللغاتُ بعضَ الألفاظِ والصياغاتِ اللغويةِ.